فالمعنى بالاجتناب (مفعوله) إذن نوعٌ ثالث من المعاملات بين الناس له قيمة سلبية مكافئة للقيمة السلبية التي يحملها التجسس والغيبة[1].

قول الله تعالى:

﴿ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين﴾[2] الظن في هذه الآية مضاف إلى إبليس، ماثلاً في الضمير العائد عليه. وتثير هذه الإضافة تساؤلاً حول نوع هذا الظن وماهيته، خاصةً وقد أضيف الظن من قبل فيقول الله تعالى: ﴿ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾[3] وكان السياق سلبيا أيضًا، فاللفظ فيه مضاف إلى ضمير الكافرين «أعداء الله» على جهة اللوم والتبكيت، فما هو الظن المضاف إلى ضمير إبليس؟

مراجعة شخصية إبليس في القرآن لا توحي بأن يكون ظنه خيرًا على كل حال. وتسلمنا هذه المراجعة إلى سياق آخر، قول الله تعالى ﴿فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم. قال ربِّ بما أغويتني لأزينَّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلَصين. قال هذا صراطٌ عليَّ مستقيم. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين. وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾[4].

وثمة سياقٌ آخر للقصة نفسها:

﴿قال فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم. قال فبعزَّتكَ لأغوينهَّم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلَصين. قال فالحق والحق أقول. لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾[5].

وبرجعة إلى السياق موضع البحث، نجد أن الظن فيه قد ورد جزءًا من قصة يمكننا اعتبارها أحد النماذج التطبيقية لـ «ما حدث بعد ذلك» من محاولات إبليس الدائمة الدائبة؛ فما كُفْرُ أهل سبأ بنعمة ربهم، وإعراضهم إلا نوعٌ من الاستجابة لنداء إبليس ومحاولاته إغواءهم؛ ﴿وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾[6].

---

(١) ويظاهر هذا التأويل، النص الكامل للحديث الذي تناولناه آنفًا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

(٢) سبأ: ٢٠.
(٣) فصلت: ٢٣.
(٤) الحجر: ٣٧ ـ ٤٣.
(٥) ص: ٨٠ ـ ٨٥.
(٦) سبأ: ١٢.